المحاضرة الثانية:

النظرية النقدية في العلاقات الدولية:

عناصر المحاضرة:

أولا: التعريف بالنظرية النقدية

ثانيا: **نشأة النظرية النقدية**

ثالثا: روبرت كوكس و تحديد معالم لمقترب النقدي

رابعا: التقييم

ملخص عن المحاضرة الخامسة:

أولا: التعريف بالنظرية النقدية:

النظرية النقدية هي تعبير عن التيار التأملي في العلاقات الدولية ، ظهرت خلال ثمانينات القرن الماضي(القرن العشرين) حيث جاءت كرد فعل على طروحات التيار العقلاني. تعتبر النقدية في كثير من الأحيان إعادة لإحياء و تكييف الفكر الماركسي بفترة ما بعد الحرب الباردة، و تسمى أحيانا بالغرامشة الجديدة، كما يعتبر الكسندر واندت أن النقدية ليست نظرية واحدة و إنما هي تيار يشمل العديد من النظريات (عائلة من النظريات) مثل: ما بعد الحداثة، البنائية النيوماركسية، النسوية... و أهم ما تجمع عليه تحليلاتهم هو التركيز على البناء الاجتماعي للسياسة الدولية

ثانيا: **نشأة النظرية النقدية:**

ظهر المقترب النقدي في العلاقات الدولية على اثر الأبحاث التي أشرفت عليها مدرسة فرانكفورت* كبديل للطروحات الواقعية و اللبرالية، وقد اهتمت أبحاث مدرسة فرانكفورت بأمرين اثنين هما:

- إنشاء نظرية نقدية جديدة للإنسان والعالم من ناحية.
- وإرساء منهج تحليلي قادر على استيعاب المشكلات والصعوبات الاجتماعية.

و من أجل وضع نظرية نقدية للمجتمع تستطيع استيعاب المشكلات والصعوبات الاجتماعية، قام رواد المدرسة بإعادة قراءة تاريخ الفكر الغربي، انطلاقا من العودة إلى أفكار كانط و تحيين فلسفته، والمرور إلى هيغل والوقوف على منطقه الجدلي، وصولا إلى ماركس وراديكاليته، وماكس فيبر وعقلانيته، ومحاولة إعادة قراءة فكر كل منهم والعمل على استيعاب أفكارهم في نظرية جامعة لكل هذه الأفكار، والتي أطلقوا عليها اسم النظرية النقدية والتي جاءت كتجاوز للنظريات التقليدية.

---

* دراسات تابعة لمعهد الأبحاث الاجتماعية التابع لجامعة فرانكفورت بألمانيا خلال عشرينات القرن الماضي، و التي اهتمت بنقد و تمحيص أهم الطروحات النظرية و الأدوات المنهجية المتاحة لتحليل الظواهر الاجتماعية عموما، حيث يؤكد روادها على استحالة تحليل الأحداث المختلفة اقتصادية أو سياسية دون الرجوع للسياق التاريخي الذي حدثت فيه. من ابرز روادها: ماكس هوركايمر max horkheimer الذي يعتبر أول من استخدم مصطلح النظرية النقدية سنة 1937.

و قد تطورت النظرية النقدية في العلوم الاجتماعية مند عشرينات القرن الماضي إلا أنها لم تظهر بشكل بارز في العلاقات الدولية إلا خلال الثمانينات، و قد انطلق النقديون من انتقاد النظريات العقلانية مثل الواقعية بكونها مجرد أفكار و تصورات تدعي صفة النظرية العلمية و ما هي في الحقيقة إلا مجرد تصورات تبريرية لواقع دولي معين فهم بذلك يرفضون الفصل بين المعارف و المصالح كما يدعي الواقعيون، و هم يدعون بالمقابل إلى بناء تحليلات معمقة و متصلة بالطبيعة الحقيقية للحياة الاجتماعية ككل و التي تنطلق من مكوناتها الاجتماعية.

تهدف هذه النظرية إلى نقد هذه الطروحات بحجة أن الهدف من النظرية في العلاقات الدولية هو نقد واقع السياسة الدولية و تطويره و ليس فقط تفسيره كما تهدف الطروحات القديمة. و قد اشتهر التيار النقدي في العلاقات الدولية خلال ثمانينات القرن الماضي من خلال أبحاث كل من روبرت كوكس **robert cox** و اندرو لانكليتر **andrew lanklater** **ريتشارد اشلي و مارك هوفمان**.

و المقترب النقدي ليس لديه تصور موحد وواضح للسياسة الدولية، و إنما ظهر في شكل سلسلة من الدراسات النقدية لأهم الأبحاث و الطروحات التي شهدها ميدان العلاقات الدولية، و يمكن تحديد أهم معالمها في:

أولا: من حيث الأسس الفلسفية تأثرت المدرسة النقدية بالفكر الماركسي عموما حيث أن هناك من يعتبرها امتدادا له، لكن رغم المكانة التي تحظى بها الماركسية في مدرسة فرانكفورت، فإنها لم تسلم من نقدهم لها وخاصة الماركسية التقليدية ، فقد اعتبر رواد المدرسة أن الماركسية لم تعد تواكب التغيرات التي تحدث في العالم الرأسمالي، وأن الرهان على الطبقة العاملة في القيام بالثورات أصبح شبه مستحيل في مجتمع استطاع احتواء هذه الشريحة الواسعة، ليراهنوا على فئات أخرى من قبيل الطلاب والأقليات العرقية كطليعة إستراتيجية للتغير.

ثانيا: من حيث منهجية التحليل نجد أن مدرسة فرانكفورت أو ما يعرف بالنظرية النقدية اتخذت من النقد أساسا لها، فالنظرية النقدية تكونت انطلاقا من نقد مفكرين و نصوص فلسفية أخرى لأنه بدون استلهام للماضي ومحاورة الحاضر لا يمكن اتخاذ أية مسافة نقدية كيفما كانت دلالتها و مقاصدها. ويرجع العديد من المهتمين بالنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت أن النقد الكانطي يعتبر مرجعا أساسيا

اعتمد عليه أصحاب النظرية النقدية وخاصة في كتبه الرئيسية الثلاثة، نقد العقل الخالص (1781) ونقد العقل العملي(1788) وكتاب نقد ملكة الحكم (1790).

ثالثا: يرفض النقديون مفهوم الفوضى كمفهوم حتمي أو كواقع دولي ابدي، فيعتقد ويليامز و كروس أن هذه الفوضى و حتى المصلحة الوطنية ليست قوانين طبيعية ثابتة بل هي مجرد سلسلة من الافتراضات حول الطبيعة السياسية للفاعلين و علاقتهم بالسيادة.

إضافة لذلك حاول النقديون نقد التحليلات التي قدمتها نظريات حل المشكلات كما سماها **كوكس** مثل النظرية الواقعية و اللبرالية على أنهما نظريات تتخذان اتجاهات معينة في تحليل العلاقات الدولية كما تحاولان الإبقاء على الوضع القائم و تقبله كما هو، على عكس النظرية النقدية التي تهدف إلى فهم و تفسير الواقع القائم في السياسة الدولية و الأهم من ذلك إلى نقده و تغييره.

و بالمقابل تركز النظريات النقدية على العوامل التي أهملتها النظريات التقليدية **من قيم وثقافة وهوية**، أي ما يتعلق بالإطار المعرفي الشخصي كلّه من تاريخ وميزات وصفات شخصية للفرد والقوى الاجتماعية التي تعد من أهم العوامل التي تساعد على تكوين رؤية الإنسان وتصوره عن أية ظاهرة في حياته وفي هذا الاتجاه، يشير أتباع النظريات النقدية أو مابعد الوضعية في إطار نقدهم لمنهجية الوضعية، وخاصة الملاحظة و التجريب **و فصل الذات عن الموضوع**، إلى أن العالم من حولنا كالنص الذي نقرأه ولكن كل منا يصل إلى تفسيرات مختلفة للنص ذاته .إن تجاربنا وعواطفنا و مشاعرنا، والقيم التي نحملها و التفاعل بيننا وبين البناء يؤثر في تفسيرنا لهذا النص. فالعدوان الاسرائيلي على غزة، على سبيل المثال، هو من الناحية المادية كواقع واحد استخدام مفرط للقوة من قبل طرف على طرف آخر .فهل كانت التفسيرات وقراءة ذاك الحدث واحدة لدى الجميع؟ الحقيقة أن رؤية صانع القرار في مصر أو الأردن أو حتى فتح لم تكن كقراءة صانع القرار في سورية أو حماس، مع أن الحدث ذاته بواقعه بضحاياه وآثاره المدمرة فالايديولوجيا والمبادئ والتجربة التاريخية للأطراف كّلها أسهمت بتحديد رؤية هذا الطرف وقراءته للحدث ذاته بطريقة تعكس تلك القيم والمفاهيم والتجربة التاريخية له .هذا ما يقصده أتباع ما بعد الوضعية بعدم قدرة الإنسان على الموضوعية حتى لو أراد ذلك .

ملخص عن المحاضرة السادسة:

ثالثا: روبرت كوكس و تحديد معالم لمقترب النقدي:

من بين الطروحات النقدية في العلاقات الدولية دراسة **روبرت كوكس** بعنوان" **Social Forces, States and World Orders: Beyond International Relations Theory**" و التي طرحها سنة 1981 و حاول من خلالها توجيه انتقاداته للتحليل السياسي الواقعي حيث انتقده بكونه غير موضوعي و بكونه تحليلا معياريا دفينا من خلال تأكيد الواقعيين على كيفية تسيير و توجيه السياسة الخارجية للدولة خصوصا من خلال المصلحة الوطنية، و يرى كوكس هنا أن النظرية هي دائما مكرسة لخدمة البعض و تحقيق بعض الأهداف، كما و يقول هنا :" **ليست هناك نظرية بحد ذاتها معزولة عن وجهة نظر لها في الزمان و المكان**". و بالتالي تصبح هذه النظرية حسب كوكس كأيديولوجية أكثر من كونها نظرية. و يطلق كوكس تسمية نظرية حل المشكلات على هذا النوع من النظريات –**Problem solving theory**.

لكن بالمقابل لذلك يرى أن النظرية النقدية هي نظرية كلانية holistic هدفها دراسة و تحليل الواقع من خلال تمحيصه و دراسة سبل التغيير فيه نحو الأفضل لهذا يؤكد كوكس على مثالية الفكر النقدي من خلال طموحه نحو التغيير للأفضل، فهو يدعو إلى عدم أخذ المفاهيم والمنظومات المعرفية كما هي، بل يجب نقدها والعودة تاريخياً إلى مرحلة بروز هذه المنظومة ووضعها في إطارها الزمني والمكاني، للكشف عن الأسباب التي جعلت هذه المنظومة تستمر وتهيمن وغيرها من المنظومات تختفي وتندثر.

التحليل النقدي عند روبرت كوكس:

حسب أهداف النظرية يحدد **كوكس** نوعين من النظريات:

نظريات حل المشكلات: التي تهتم بتفسير الواقع من خلال اهتمامها بتقديم منظور خاص بحل المشكلات ضمن نفس المنظور. تفسر هذه النظريات الواقع كما وجدته من خلال وصف العلاقات السلطوية و

الاجتماعية و الإطار المؤسساتي الذي ينظمها. و يكون هدف التحليل النظري لهذا النوع من النظريات هو المحافظة على الوضع الراهن حيث لا تضع الإطار العام لهذه التفاعلات من منظور تحليلي نقدي.

النوع الثاني من النظريات هي **النظريات النقدية** و التي تقف موقفا محايدا من الواقع الذي تحلله، كما أنها تهدف إلى تحليل واقع العلاقات الاجتماعية و الأطر المؤسساتية من حيث خلفياتها و أسباب تطورها و سبل تطويرها و تغييرها. و في هذا الإطار يقول كوكس أن النظرية النقدية يجب أن تكون أكثر انعكاسية reflexive من خلال الوعي الذاتي بظروف المكان و الزمان التاريخيان اللذان يوجد فيهما المرء و فهم الديناميات التي ولدت هذه الظروف. و يحدد **كوكس** هنا شروط النظرية النقدية في العلاقات الدولية في:

- أن تقع بمعزل عن النظام السائد في العالم و أن تهتم بكيفية تطوره.
- أن تنظر في مجتمع البنية السياسية و الاجتماعية ككل و تسعى لفهم عملية التغيير في الكل و أجزائه.
- أن تبحث في أصول و مشروعية المؤسسات الاجتماعية و السياسية كما تهتم إذا كانت هذه المؤسسات في حالة تغيير و تحليل كيفية حصوله.

<u>الدولة و النظام الدولي حسب كوكس</u>:

في موضوع الدولة يرى **كوكس** أن الدولة ما هي إلا محصلة و نتاج للتطور التاريخي للبنى أو القوى الاجتماعية التي تشكلها و تنشأ عنها و بالتالي فإن الفهم المعمق لدور الدولة و سلوكها الخارجي يتطلب البحث حول مرتكزات البنية السياسية للدولة و المجتمع المدني.

و من اجل فهم السلوك الخارجي للدولة يحدد كوكس ما سماه بمرجعيات السلوك framwork for action و التي على النظرية النقدية في العلاقات الدولية أن تعالجه في مجموعة من النقاط:

- لأي سلوك مرجعيات تحدد طبيعته و هي مرتبطة بالسياق التاريخي للفعل و السلوك.
- مرجعيات السلوك هي متغيرة مع الوقت و على النظرية النقدية أن تدرك و تستوعب هذا التغيير.
- يأخذ الإطار المرجعي للسلوك شكل البنية التاريخية historical structure التي عرفها بأنها تركيبة من القوى (المحددات) و التي تتحكم في سلوك الدول و هي تتشكل من: **أنماط التفكير thought patterns، الظروف المادية material conditions و المؤسسات human institutions.** و التي تتفاعل بشكل منسجم فيما بينها و يقول كوكس هنا أن "

هذه البنية لا تحدد بشكل أو بأخر سلوك الأفراد (على غرار الواقعية) و لكنها تحدد ظروف و المحددات التي يصاغ فيها السلوك أو الفعل."

و الشكل التالي يوضح عناصر البنية التاريخية كإطار مرجعي للسلوك وفقا لكوكس التي تعد نتيجة تفاعل ثلاثة متغيرات: **الأفكار والمؤسسات والقدرات المادية.** هذه المتغيرات (أو القوى كما يسميها **كوكس)** لا تتدفق بطريقة ميكانيكية معينة، بل تفرض ضغوطا وتقييدات على المجتمعات. تربطها علاقات تفاعلية متبادلة كما يوضح الشكل التالي:

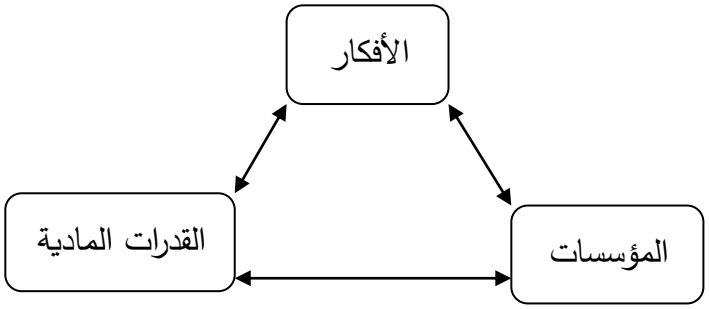

الشكل رقم (02): يوضح عناصر البنية التاريخية عند روبرت كوكس

المصدر: Robert W. Cox, "**Social Forces, States and World Orders** " P :136

يقصد بالقدرات المادية MATERIAL CAPABILITIES: الإمكانيات الطبيعية و الصناعية، التكنولوجية، التنظيمية....

الأفكار IDEAS: و يقصد بها نوعان: القيم و الأفكار المشتركة بين أفراد الدولة و بين شعوب الدول ككل في إطار المجتمع الدولي.

المؤسسات INSTITUTIONS: التي يعتبرها وسيلة للحفاظ على النظام داخل المجتمع.

و على مستوى النظام الدولي، يمكن الاستناد لنفس التركيبة للبنية التاريخية للسلوك و التي يمكن استخدامها حسب كوكس لتحليل البنى و النظم الدولية و ذلك بتطبيقها على ثلاث مستويات أساسية:

المستوى الأول: نظم الإنتاج و التي تتحدد حسب القوى الاجتماعية المنخرطة في العملية الإنتاجية.

المستوى الثاني: شكل الدولة و الذي يتحدد حسب العلاقة بين مركب الدولة و المجتمع.

المستوى الثالث: النظم الدولية و التي تحدد حسب العلاقة التفاعلية بين القوى الدولية في شكلها التعاوني أو الصراعي.

و يترجم **نموذج كوكس** القوى الثلاث في الشكل التالي: و يفترض من خلاله أن المستويات الثلاثة مترابطة، وبالتالي فإن التغيير في مستوى واحد سيؤثر على النظام نفسه:

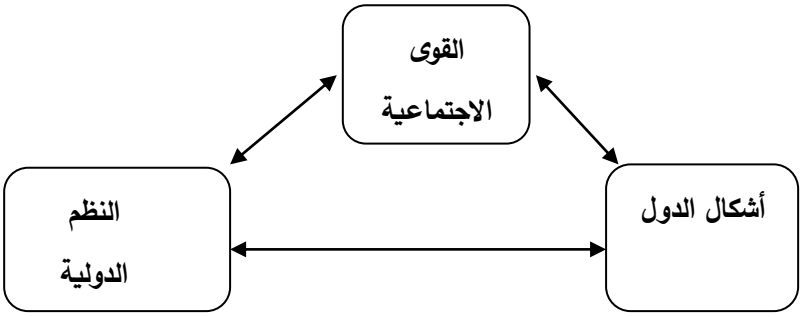

الشكل رقم (03): تركيبة البنية التاريخية لسلوك الدولة و النظام الدولي حسب روبرت كوكس.

المصدر: Robert W. Cox, "**Social Forces, States and World Orders** " P :138.

إلى جانب ذلك يرى **كوكس** أن التغيرات الممكنة الحدوث في طبيعة العلاقة بين القوى الاجتماعية في إطار العلاقات الإنتاجية داخل المجتمع يمكن أن تحدث تغييرا على شكل الدولة و من ثم تحدث تغييرات متتالية على التفاعلات القائمة بين الدولة في إطار النظام الدولي و بالتالي تغيير النظام الدولي. و يستشهد كوكس بالعديد من الحالات أين أثرت القوى الاجتماعية دولية، على غرار التيار الستاليني كما سماه و الذي اعتبره رد فعل على الشعور بالتهديد من الدور العدائي للاتحاد السوفياتي، دور المركب الصناعي–العسكري في دول المركز و الذي يبرر أهدافه بالطبيعة الصراعية للنظام الدولي...